

موقف الأمم المتحدة من الحرب على غزة

د/ فتيحة ليتيم ، قسم العلوم السياسية جامعة باجي مختار عنابة

مقدمة:

لقد كشفت الحرب الإسرائيلية على غزة، مرة أخرى، مدى ضعف وهشاشة المنظمة الدولية، ومدى زيف ادعاءات الشرعية الدولية التي تمثلها في زمن هيمنة شرعية القطب الواحد. حيث كان موقف المنظمة الدولية الصامت تجاه العدوان الإسرائيلي على غزة أقرب إلى التواطؤ منه إلى السلبية. وجاءت تحركات مجلس الأمن والجمعية العامة والأمين العام جد متأخرة، ولم تستطع أن توقف العدوان، لأن الدول الكبرى، وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، لم ترد للعدوان أن يتوقف إلا بعد استكمال أهدافه.

مظاهر الوهن الأممي خلال الحرب على غزة:

1. على مستوى مجلس الأمن الدولي:

1. لم يجتمع مجلس الأمن وهو المنوط به حفظ السلم والأمن الدوليين والتصدي للعدوان، الا بعد أسبوعين من بدء العدوان الإسرائيلي واقترافه أبشع المجازر والاعتداءات في حق المدنيين. إذ تعمدت الدول الكبرى المماثلة في عقد اجتماع للمجلس حتى تعطي إسرائيل الوقت الكافي لتحقيق انجاز ما على الأرض، وبعد مفاوضات ومشاورات طويلة أصدر المجلس قراره رقم 1860.

- أهم ردود الفعل بشأن القرار 1860:

- لقد حظي قرار مجلس الأمن رقم 1860 بشأن الحرب الإسرائيلية على غزة بقدر متزايد من الرفض والانتقاد والتحفظ، بينما اعتبرته حركة فتح إنجازاً، وفيما يلي أبرز تلك المواقف:
- رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت: القرار غير قابل للتطبيق ولن ينجح.
- وزيرة الخارجية الإسرائيلية تسيي ليفني: إسرائيل تصرف في السابق وستواصل التصرف وفق حساباتها واستناداً لأمن مواطنيها وحققها في الدفاع عن نفسها.
- أسامة حمدان ممثل حماس بلبنان: الحركة غير معنية بالقرار وتنتظر لترى كيف سيصار إلى تطبيقه.
- القيادي بحماس سامي أبو زهري: الحركة غير معنية بقرار مجلس الأمن لأنه اتخذ دون مشاورتها، كما أنه لم يأخذ بعين الاعتبار مصالح الشعب الفلسطيني.

- الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين: قرار مجلس الأمن الدولي ملتبس ويترك الأبواب مفتوحة أمام إسرائيل لمواصلة عدوانها على قطاع غزة.
- الناطق باسم حركة (فتح) أحمد عبد الرحمن: القرار إنجاز للموقف العربي الموحد.
- أبو مجاهد المتحدث باسم لجان المقاومة الشعبية الفلسطينية: قرار مجلس الأمن غير ملزم لفصائل المقاومة لأنه ظالم ويساوي بين الضحية والجلاذ.
- الأمين العام للجامعة العربية عمرو موسى: "القرار ملزم من الناحية القانونية".
- وزيرة الخارجية الأميركية كوندوليزا رايس: "واشنطن امتنعت عن التصويت لأنها تريد الانتظار إلى حين ظهور نتائج الجهود المصرية لتحقيق وقف إطلاق النار.
- وزير الخارجية التركي علي باباجان: لا بد من التنفيذ الفوري للقرار والتركيز على المصالحة الوطنية الفلسطينية، وتركيا ستبذل ما في وسعها لضمان تنفيذ القرار وتأمين الاستقرار والهدوء في المنطقة.
- وزير الخارجية البريطاني ديفد ميليباند: الجانبان (الدول الغربية والعربية) حققا "إجماعا حقيقيا" لتبني قرار قوي لإنهاء الصراع.
- وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط: القرار يدعم الجهود التي تقوم بها مصر ويشكل سندا هاما للمبادرة التي أطلقها الرئيس حسني مبارك.
- وزير الخارجية الليبي عبد الرحمن شلقم: الوضع في قطاع غزة كان يتطلب قرارا أقوى يتناسب مع حجم المأساة على الأرض.

إذن وبعد استعراض ردود الفعل المختلفة من قرار مجلس الأمن، ما يمكن قوله بشأن هذا القرار أنه لم يكن متوازنا، حيث ساوى بين المعتدي والمعتدى عليه، كما أنه لم يوضع آلية لتنفيذه على الأرض، وأنه شكل فقط إضافة جديدة لعشرات القرارات التي اتخذت بشأن القضية الفلسطينية، ولكنها لم تنفذ.

وتعبيرا عن هذا الموقف الأممي، الذي أقل ما يقال عنه أنه متخاذل، اهتم الدكتور بطرس بطرس غالي، الأمين العام الأسبق للأمم المتحدة، المنظمة الدولية بالفشل في أداء مهمتها في تحقيق السلام لعدم قيامها بإصدار قرار ثان يتم دعمه بفرض عقوبات وإجراءات قسرية لإجبار الطرفين على وقف إطلاق النار، لافتا إلى أن القرار الأول ترك مسألة وقف القتال لحسن نية الطرفين، دون أية إجراءات جبرية.

وتساءل غالي كيف يمكن للأمم المتحدة أن تتخذ قرارا ملزما في ظل امتلاك بعض الدول لحق الفيتو "في إشارة واضحة لأمريكا، التي كانت قد اعترضت على ترشيحه لفترة ثانية على رأس المنظمة الدولية انتقاما من موقفه المناهض لمذبحة قانا"⁽¹⁾.

أما ميغيل ديسكوتو بروكمان، رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، فقد أبدى استنكاره لعدم قدرة مجلس الأمن الدولي على التحرك لوقف العدوان على غزة، لأن بعض أعضاء المجلس يحاولون حماية مصالحهم السياسية.

وقال رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة، بشأن أعضاء مجلس الأمن الدولي: "ألا يعتقدون أن الاحتلال غير المشروع لأراضي الشعب الفلسطيني، والمعاملة التي يتعرضون لها يوميًا يشكلان عدواناً؟!". كما أضاف ديسكوتو بروكمان: "هناك الكثير من الحديث المزدوج، ومن ثمّ فهؤلاء مسئولون عن الصورة السيئة والتي تزداد سوءاً يوميًا، وأعني صورة الأمم المتحدة، وبسبب عدم القدرة على العمل، فإن مجلس الأمن يحتاج بصورة ملحة جدًا إلى إصلاح عميق"⁽²⁾.

2. على مستوى الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون:

لقد كان موقف الأمين العام للأمم المتحدة من العدوان دون المستوى المطلوب، بدءًا بطلبه من الجانبين الإسرائيلي والفلسطيني وقف القتال، والالتزام بقرار وقف النار الصادر عن مجلس الأمن مما يضمن وصول مواد الإغاثة لسكان قطاع غزة. وهو بهذا يلغي صفة العدوان على ما اقترفته إسرائيل ويلغي صفة المقاومة على الفصائل الفلسطينية وحماس. ويحوّلها إلى نزاع أو قتال بين طرفين، حتى يبدو الأمر وكأنه نزاع مسلح بين دولتين. كما أن استخدامه لعبارة "القوة المفرطة" التي استخدمتها إسرائيل ضد المدنيين في غزة، فيها الكثير من الانحياز لإسرائيل والمجازاة لمواقف بعض الدول الغربية، وكأن المطلوب هو استخدام القوة فقط دون الإفراط فيها، مع العلم أن الأمين العام يعلم جيدًا أن استخدام القوة في القانون الدولي وفي الميثاق الذي يمثله، بإفراط أو بغير إفراط، غير مشروع إلا في حالات الدفاع عن النفس في حالة العدوان، وهو ما لم يتم في هذه القضية.

كما جاءت جولته إلى المنطقة، والتي أعلن بشأنها أنها من أجل ضمان تنفيذ القرار الأممي الخاص بقطاع غزة، متأخرة جدًا، وتزامنت جولته مع قصف إسرائيل للمرة الثالثة مدرسة تابعة للأونروا في غزة كان قد احتُمى فيها عددًا كبيرًا من العائلات الفلسطينية، وشكل هذا القصف تحديًا واضحًا للمنظمة الدولية

(2) رئيس "الجمعية العامة": الكبار يتحدثون بأزدواجية وغزة تتعرض للإبادة:

واستخفافا بها وبأمنيتها العام والذي أكمل جولته في المنطقة، ولقد شدد الأمين العام بأن قرار مجلس الأمن ملزم للجميع وأنه سيسعى، من خلال جولته، للضغط من أجل تنفيذ القرار الدولي بوقف إطلاق النار في القطاع، إلا أن هذا المسعى اصطدم برفض إسرائيل للقرار وإعلانها وقفا لإطلاق النار من جانب واحد دون ذكر أو أدنى إشارة للقرار الأممي.

كما زار الأمين العام غزة بعد وقف إطلاق النار في أعقاب الحرب الإسرائيلية التي استمرت 22 يوما على غزة، رغم إعلانه في البداية أنه لن يزورها ولن يجري اتصالات مباشرة مع قادة حماس، بل سيحري محادثات مع السلطة الفلسطينية في الضفة الغربية، ووقف بان كي مون على حجم الدمار الذي خلفته آلة الحرب الإسرائيلية معلنا بأنه سوف يقوم بإرسال لجنة تحقيق دولية بشأن استخدام إسرائيل للأسلحة المحرمة دوليا، بما في ذلك القذائف الفوسفورية وقنابل الدائم واليورانيوم المنضب والتي خلفت دمارا هائلا بالفلسطينيين.

كما دعا الأمين العام للأمم المتحدة إلى محاسبة المسؤولين عن قصف مبان ومدارس تابعة للأمم المتحدة في قطاع غزة، وقال إن المشاهد التي رآها "ينفطر لها القلب". وقال من أمام مبنى الأمم المتحدة الذي لا يزال يتصاعد منه الدخان بعد أن قصفته القوات الإسرائيلية أثناء الحرب على غزة "هذا هجوم مشين وغير مقبول على الأمم المتحدة". وأضاف "يجب إجراء تحقيق كامل وتقديم تفسير تام لضمان عدم تكرار هذا العمل مطلقا. ويجب إجراء محاسبة عبر نظام قضائي ملائم". وقال: "أشعر بالاشمئزاز. ولا أستطيع وصف ما أشعر به بعد أن رأيت موقع مقر الأمم المتحدة المدمر.. حتى هذا الصباح لا يزال المبنى يحترق". وأضاف "لقد احتججت عدة مرات واليوم أنا احتج مرة أخرى بأقصى العبارات وأدين ذلك. وطلبت إجراء تحقيق كامل ومحاسبة المسؤولين"⁽³⁾. ولكن وحده المستقبل كفيلا بمعرفة ما إذا كانت محاسبة إسرائيل ستتم أم أن الشكاوي والدعاوي القضائية التي بدأت تلاحقها ستذهب أدراج الرياح.

ما يمكن قوله أن إدانة واحتجاجات الأمين العام قد جاءت متأخرة، كما أنه اختصر مثملا فعل المجتمع الدولي، قضية العدوان على غزة وما خلفه من كوارث إنسانية إلى مجرد قضية مدنيين يجب تأمين الحماية لهم، وإلى مساعدات يجب إدخالها وإلى حدود يجب تأمينها. ونسي أن القضية الجوهرية هي قضية احتلال وإبادة جماعية لشعب أعزل استمرت لأكثر من ستون سنة.

3. على مستوى الجمعية العامة:

⁽³⁾ بان يقوم بزيارة الى غزة مع استمرار الهدنة:

بعد صدور قرار مجلس الأمن(1860) وعدم التزام إسرائيل به، دعا رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة النيكاراغوي ميغيل ديسكوتو - المعروف بدعمه القوي للقضية الفلسطينية - إلى اجتماع طارئ لأعضاء الجمعية لبحث استمرار العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة. وذلك بناء على طلب تلقاه من مجموعة دول عدم الانحياز(118 بلدا من أصل 192) التي سعت إلى استصدار قرار من الجمعية العامة يدين استمرار الهجوم الإسرائيلي .

ولقد طالبت الجمعية العامة بـ "الاحترام غير المشروط لقرار مجلس الأمن 1860 (غير الملزم) بما في ذلك الدعوة التي وجهها إلى وقف فوري ودائم لإطلاق النار. على أن يتم التقيد به تقيدا تاما بما يؤدي إلى انسحاب شامل للقوات الإسرائيلية من غزة وتوزيع المساعدة الإنسانية في كافة أنحاء غزة بلا معوقات." ولقد حصل التصويت بعد ساعات من المفاوضات والمناورات ويومين من المناقشات خلال اجتماع طارئ للجمعية . وصوتت الولايات المتحدة ضد القرار، وفي مداخلتها الجمعة، حذر مساعد السفير الأميركي اليخاندرو وولف من تحول الاجتماع إلى "منصة لتوجيه انتقادات حادة ضد إسرائيل في وقت تبذل جميع الجهود لإيجاد آلية لوقف الحرب"، حدّ قوله (4).

ودعا القرار غير الملزم الذي اعتمد بأكثرية 142 صوتا إلى "الاحترام الكامل" لقرار مجلس الأمن الدولي رقم 1860 الذي دعا إلى "وقف فوري ودائم ومحترم لإطلاق النار يؤدي إلى الانسحاب الكامل للقوات الإسرائيلية" من غزة.، وصوتت ثلاث دول ضد القرار بينما امتنعت تسع عن التصويت.

والدول الثلاث التي صوتت ضد القرار الذي تقدمت مجموعة عدم الانحياز هي الولايات المتحدة وإسرائيل وناورو . واعتمد القرار بعد ساعات من المفاوضات وإدخال تعديل طفيف على صيغة أولى تقدم بها ديسكوتو. وشطبت من الصيغة الأولى عبارة تصف إسرائيل على أنها "قوة احتلال" في غزة وأدخلت على الصيغة جديدة جملة تؤكد "ضرورة حماية المدنيين الإسرائيليين والفلسطينيين ووضع حد لمعاناتهم . "ويدعو النص الدول الأعضاء الى تقديم الدعم اللازم بسرعة إلى الجهود الدولية والإقليمية للتخفيف من الوضع الإنساني والاقتصادي الصعب في قطاع غزة .

(4) <http://www.wa3ad.org/index.php?show=news&action=article&id=35441>

وحاولت مجموعة من الدول بينها الإكوادور وفنزويلا وإيران وسوريا واندونيسيا وماليزيا ونيكاراغوا العمل على تبني نص اشد قسوة لكنها لم تنجح في ذلك . وسعت هذه البلدان إلى تضمين النص فقرة تدعو إلى "الاحترام الكامل لقرار مجلس الأمن رقم 1860 ووقف إطلاق النار فوراً وانسحاب القوات الإسرائيلية الفوري وغير المشروط من قطاع غزة . " لكن هذه المحاولة التي قادتها إيران وسوريا باءت بالفشل⁽⁵⁾

أما على مستوى رئيس الجمعية العامة ميغيل ديسكوتو بروكمان، فقد كانت مواقفه داعمة للموقف الفلسطيني، حيث وصف سلوك إسرائيل "بقصف غزة بالعدوان العاشم من قبل دولة قوية جداً على أراضي محتلة بصفة غير مشروعة". وأضاف في بيان له "أن الوقت قد حان لاتخاذ موقف حاسم، إذا كانت الأمم المتحدة تريد ألا توصف بالتواطؤ عن طريق التجاهل". وقال ديسكوتو "إن القصف الجوي الإسرائيلي على قطاع غزة يمثل انتهاكاً خطيراً وهائلاً للقانون الإنساني الدولي كما تم تعريفه في اتفاقيات جنيف، فيما يتعلق بالتزامات القوة المحتلة، ومتطلبات قوانين الحرب"⁽⁶⁾.

كما قال "إن هذه الانتهاكات تتضمن أولاً العقاب الجماعي، إذ أن مليوناً ونصف المليون مواطن يعيشون في قطاع غزة المكتظ تجري معاقبتهم عن تصرفات قلة من المسلحين. وثانياً، استهداف المدنيين، فالغارات الجوية كما يقول البيان موجهة لمناطق مدنية، في واحدة من أكثر المناطق كثافة في العالم، وأكثرها ازدحاماً في الشرق الأوسط. والانتهاك الثالث الذي نص عليه البيان هو الرد العسكري غير المتناسب في القوة، إذ إن الغارات الجوية لم تؤد فقط إلى تدمير كافة منشآت الشرطة والأمن التابعة للحكومة المنتخبة في غزة، بل إنها أدت أيضاً إلى مقتل وإصابة مئات المدنيين، وإحدى هذه الغارات على الأقل قد أصابت مجموعة من الطلبة، كانوا يبحثون عن وسيلة مواصلات تقلهم إلى منازلهم في طريق عودتهم من الجامعة"⁽⁷⁾.

إذن يمكن القول أن موقف الجمعية العامة كان أكثر جرأة وقوة من موقف المجلس، والذي تسيطر عليه إلى حد كبير دول متحالفة مع إسرائيل وعلى رأسها الولايات المتحدة. ولكن مع ذلك كان يمكن لموقف

(5) الجمعية العامة للأمم المتحدة تدعو إلى هدنة فورية في غزة

http://www.akhbar.ma/_i54797_2.html.

(6) رئيس الجمعية العامة يصف الغارات الإسرائيلية على غزة بالعدوان العاشم والانتهاك الخطير للقانون الإنساني الدولي 2008/12/29

<http://www.un.org/radio/ar/detail/10896.html>

(7) نفس المرجع.

الجمعية العامة أن يكون أكثر فاعلية لو سمح بتفعيل قرار الاتحاد من أجل السلم والذي يمنحها مكانية التحرك لحفظ السلم والأمن الدوليين واتخاذ الاجراءات المناسبة، وهذا إذا فشل المجلس في التحرك، وهو ما حصل.

4. الاونروا ودورها في التخفيف من الأزمة الإنسانية خلال الحرب على غزة

يبدو أن القوى الدولية الفاعلة لا تريد ولم ترد للمنظمة الدولية أن يكون لها دورا سياسيا وعسكريا فاعلا في القضية الفلسطينية بشكل عام وفي الحرب على غزة بشكل خاص، مع السماح لها فقط بالتحرك على المستوى الإنساني من خلال الأونروا.

بدأت الأونروا (وكالة الأمم المتحدة لغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين) عملياتها في ماي 1950، وكانت مهمتها تقديم المساعدة الطارئة لمئات الآلاف من الفلسطينيين الذين شردوا نتيجة الصراع العربي الإسرائيلي عام 1948. وولاية الوكالة المنبثقة عن قرار تبنته الجمعية العامة للأمم المتحدة في كانون الأول 1949، تم تجديدها تكراراً، بانتظار التوصل إلى حل مشكلة فلسطين.

وواصلت الأونروا تقديم الخدمات الأساسية في التعليم والصحة والإغاثة والرعاية الاجتماعية للاجئين الفلسطينيين الذين يعيشون في الأردن، ولبنان، والجمهورية العربية السورية، والضفة الغربية وقطاع غزة ومنطقة أريحا والتعليم هو أكبر برامج الوكالة، إذ يستهلك 47% من ميزانيتها السنوية ، وتليها الصحة بنحو 21%، فالإغاثة والخدمات الاجتماعية بنحو 14%.

ولقد أثنى العديد من المراقبين الدوليين على الأونروا كعامل استقرار في الوضع المضطرب في الشرق الأوسط، وعلى مر السنين كانت خدمات الأونروا ولا تزال مصدراً هاماً للدعم والمساعدة حيث يتمكن الأفراد والعائلات اللاجئة من الاستمرار والبقاء وأن يحققوا مستوى معين من الاعتماد على الذات، حيث وجد العديد من اللاجئين الفلسطينيين طريقهم للاستقلال الاقتصادي⁽⁸⁾

(8) ورقة عمل حول وضع الاونروا بين حجم المنح ومتطلبات اللاجئين مقدمة من : الهيئة الفلسطينية لحماية حقوق اللاجئين مقدمة إلى ورشة العمل حول " اللاجئين الفلسطينيين بين تلبية الاحتياجات الإنسانية والتحديات الماثلة التي تنظمها دائرة شؤون اللاجئين 3/5

لعبت وكالة الغوث الدولية (الاونروا) دورا إنسانيا بالغ الأهمية في أثناء الحرب على غزة، وكانت بالفعل شريان الحياة للمليون ونصف مليون فلسطيني يعيشون في القطاع، وذلك رغم العجز المالي في موازنتها، خاصة وأن مسألة التمويل خاضعة لإرادة الدول المانحة وتعتمد على حجم التبرعات الطوعية التي لا تواكب حاجاتها المتزايدة.

ولقد ظهر مدير عملياتها في قطاع غزة جون غينغ في العديد من الفضائيات خلال الحرب متحدثا عن الوضع الإنساني المزري للسكان، وعن ضرورة تسهيل عمليات الاونروا. ولقد دفعت الاونروا لقاء هذا العمل الإنساني الهام ثمنا باهضا، إذ تعرضت مقراتها ومخازنها للقصف الإسرائيلي في العديد من المرات وتعرض موظفوها لخطر الموت، فضلا عن استباحة مدارسها وقصفها من قبل إسرائيل عدة مرات.

خاتمة:

ما يمكن قوله هو أن القصف الإسرائيلي لمقر الأونروا في 15 جانفي والذي أدى إلى اشتعال النار في مخازن الأمم المتحدة وإحراق أطنان من المساعدات الغذائية التي يحتاجها سكان القطاع بشدة، إن دل على شيء فإنه يدل أيضا، إضافة إلى بربرية وإجرام إسرائيل، على تماهي المنظمة الدولية وهوائها، بحيث أصبحت هدفا في مرمى نيران دولة مجرمة نشأت، في يوم من الأيام، بقرار من هذه المنظمة ذاتها. فحتى الدور الإنساني للمنظمة بات غير مسموح به في ظل الوضع الدولي الحالي. ولقد اعتبر الدكتور بطرس غالي أن منظمة الأمم المتحدة تشهد أزمة منذ انتهاء الحرب الباردة بسبب السياسات أحادية الجانب التي تنتهجها القوى العظمى. وأعرب عن أسفه لعدم استغلال انتهاء الحرب الباردة لبدء عملية إصلاح الأمم المتحدة، مثلما حدث عند انتهاء الحرب العالمية الأولى. بمولد عصبة الأمم، وانتهاء الحرب العالمية الثانية. بمولد منظمة الأمم المتحدة. ورأى غالي أنه كان من الضروري انتهاز وقوع حدث مهم مثل انتهاء الحرب الباردة حتى يتم إصلاح الأمم المتحدة غير أن ذلك لم يتم.